ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal For Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

Ahmed kamil abttan al-zubaidi

General Directorate of Wasit Education

*** Corresponding Author Email:**
Ahmedabtin71@gmail.com

Keywords:
the scientific movement, the Abbasid era, the efforts of the Abbasid caliphs

---

Article history:
Received: 12 June, 024
Accepted: 23 July, 2024
Available online: 30 Aug. 2024

CC BY

The Efforts of the Caliphs of the first Abbasid Era in Developing the Scientific Movement

A B S T R A C T

During its golden age, the Abbasid state witnessed great achievements on the cultural and intellectual level, especially after Baghdad became the capital of the caliphate, the direction of the Islamic world, and as a result of the policy of the Abbasid state based on cultural mixing between peoples.

These cultures melted in the crucible of Islam, the sciences expanded, and the scientific and intellectual movement developed due to the efforts of The Abbasid caliphs and their passion for science and learning, and openness to the other world, the impact and impact of Islamic civilization on other civilizations was clear, whether linguistic, intellectual or other influences.

DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss3.636

جهود خلفاء العصر العباسي الأول في تطور الحركة العلمية (١٣٢ – ٢٣٢ هـ / ٧٤٩ – ٨٤٨ م)

الباحث: احمد كامل عبطان الزبيدي
مديرية تربية واسط

ملخص

شهدت الدولة العباسية خلال عصرها الذهبي إنجازات عظيمة على المستوى الثقافي والفكري ، لاسيما بعد أن أصبحت بغداد عاصمة الخلافة قبلة العالم الإسلامي ؛ ونتيجة سياسة الدولة العباسية القائمة على التمازج الثقافي بين الشعوب؛ انصهرت تلك الثقافات في بوتقة الإسلام، واتسعت العلوم ، وتطورت الحركة العلمية والفكرية بسبب جهود الخلفاء العباسيين وشغفهم بالعلم والتعلم ، والانفتاح على العالم الآخر، فكان تأثر وتأثير الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى واضحا سواء التأثيرات اللغوية والفكرية وغيرها.

كلمات مفتاحية: الحركة العلمية، العصر العباسي ، جهود الخلفاء العباسيين

مقدمة :

شهدت الحضارات في العالم حالة من التأثر والتأثير فيما بينها، وكانت الحضارة العربية الإسلامية واحدة منها، كما شهدت حالة من الانفتاح والتطور في العهد العباسي الأول وتقدمت وتفاعلت مع غيرها ، أصبحت بغداد في عام (١٣٢هـ/٧٥٠م) مقرا للحكم العباسي في وقت لاحق، وتحولت العاصمة من دمشق والشام إلى بغداد والعراق بعد سقوط الخلافة الأموية في دمشق عام (١٣٢هـ/٧٥٠م) ، لعبت بغداد دورا مهما في الفترة العباسية لا يقل أهمية عن الدور الذي قامت به دمشق سابقا، بل تجاوزها أيضا، وشكلت مركزا لثقافات وشعوب عديدة متنوعة، فقد شهدت تلك المدينة تطورات علمية وفكرية واجتماعية (كار، ١٩٨٨، ٩) ، أدى توسع حركة الفتوحات الإسلامية في العصر العباسي إلى حدوث ظاهرة الانفتاح الثقافي والفكري بشكل كبير بين سكان المناطق الجديدة التي خضعت للدولة العباسية، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تعداها إلى المناطق المجاورة (آل جعفر، ١٩٨٤، ١١–١٢) ، هذا التفاعل الثقافي الكبير والمعرفة المختلطة والمتنوعة بين الشعوب أدى إلى حدوث نهضة علمية واسعة وكبيرة خلال حكم العباسيين، وقد كانت حركة الترجمة الجذر الراسخ لتلك النهضة، وأسهمت بدور مباشر وفعال فيها.

للبحث قيمة علمية مهمة، فقد جاء ليوضح ناحية مهمة في التاريخ الإسلامي ألا وهي إبراز دور وجهود الخلفاء العباسيين الذين شغفوا بالعلم والمعرفة في تنشيط وتحقيق التقدم بميادين العلوم المختلفة ؛ إذ إن النهضة الحضارية والعلمية التي وصلت إليها الدولة العباسية ، سواء بعلمائها أو علومها ومعارفها أو إنجازاتها الحضارية ، لا يمكن أن يكون لها وجود ، بمعزل عن خلفائها ، وبعيداً عن رعايتهم المتواصلة ، ودعمهم اللامحدود ، والتعرف على وسائل وأساليب الخلفاء العباسيين لتطوير ما حصلوا عليه من ثروة علمية كبيرة وعظيمة شملت مختلف فنون العلم وميادينه.

المبحث الأول

عوامل ازدهار الحركة العلمية

يعد الازدهار العلمي مظهراً راقياً من مظاهر المجتمع الإنساني ، فهي الصورة الأكثر تعبيراً عن حياة المجتمعات والأمم ، فمن المعروف أن الإسلام حض على طلب العلم، فدفع المسلمين دفعاً قوياً إلى العلم والتعلم (عباس، ٢٠١٧، ١٧١) ، فجمعوا ثقافات الشعوب المختلفة، وسعوا إلى ترجمتها ودراستها، فنهض التعليم نهضة واسعة امتد آثرها إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي ، وإلى الميادين كافة ، لقد كان التطور العلمي يسير جنبا إلى جنب ومواكباً لانتشار الإسلام ، وهذا الازدهار جاء نتيجة عوامل متعددة يأتي في مقدمتها :

١- دعوة الاسلام إلى العلم وتحصيل المعرفة : وتشجيعه للعلماء؛ لما لهم من أهمية كبيرة ، ومن الشواهد القرآنية حول ذلك (الفيصل، ٢٠١٠، ١٤٥) ، قوله تعالى : ((**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**))**[طه:١١٤]** كما جاءت في السنة النبوية الشريفة أحاديث كثيرة تحث على طلب العلم فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ""طلب العلم فريضة على كل مسلم"" (ابن ماجه، د.ت، ٨١)، وقوله : "ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (البخاري ، د.ت، ٢٨) .

٢- دور الخلفاء والأمراء بصورة كبيرة في تنشيط الحياة العلمية : يبدو هذا الدور من خلال سعي الخلفاء لتأمين كل ما يحتاجه هؤلاء العلماء فضلا عن إعطائهم مكانة مرموقة، كما كان لهم تأثيرها ووقعهم في المجتمع العباسي وفي المناطق التي كانت تابعة للخلافة، فضلاً عن انتشار المجالس العلمية والندوات والمناظرات التي عقدت فيها ، فقد تنوعت سبل اهتمام الخلفاء العباسيين بالعلماء ، إذ كان بلاطهم يؤمه الأدباء والفقهاء والنحاة والعلماء (الأصفهاني، د.ت، ٢١٢) (الواقدي، ١٩٩٦، ١٨).

٣- ظهور أهل الذمة : لم يكن أهل الذمة بمعزل عن التطور العلمي الذي كان حاصلا في الدولة الإسلامية، فقد كان لهم دورهم الفاعل في ذلك التحول العلمي الكبير إلى جانب غيرهم من الفئات الاجتماعية، وكانت لهم تآليفهم المختلفة وكتبهم التي أصبحت فيما بعد مصدرا للفروع العلمية الأخرى التي ظهرت لاحقا (الشكعة ، ١٩٧٧، ١٣٢ – ١٤٣) ، برع هؤلاء في الترجمة، فقد كانوا متمرسين باللغات الأجنبية والسريانية واليونانية، فكانوا موضع اهتمام الخلفاء الذين يعتمدون عليهم في تلك الناحية بشكل كبير وخصوصا في الترجمة من اليونانية للعربية (علي، ١٩٨٦، ٤) .

٤- الرحلات العلمية : كان لها أهمية كبيرة في تطور وازدهار الحياة العلمية ، إذ كان العلماء العرب والمسلمون يرحلون إلى المدن ويجوبون البلدان طلباً للعلم من خلال لقائهم بالعلماء والشيوخ والتزود من معارفهم وأفكارهم ، وإعطاء ما لديهم من علوم للآخرين ، علماً أنهم كانوا يتجولون في البلاد الإسلامية من دون أذن أحد ، إذ لا حدود تفصل بين المدن؛ مما سهل عملية التنقل والتجوال (ابن خلدون، ١٩٨٢، ٤٥٠) .

٥- ظهور الورق : شكل وجود الورق ومعرفة المسلمين بصناعته أحد أكثر العوامل أهمية في التطور العلمي الكبير الذي شهدته الدولة الإسلامية بشكل عام، فقد شكل وسيلة مهمة يتم من خلالها تدوين مختلف العلوم والمعارف والمصنفات والاحتفال بها، كما استخدم بالترجمة ونسخ وتأليف مختلف الكتب، وقد انتشرت صناعة الورق بشكل كبير بين المسلمين، فخصص لها مجموعة من الموظفين حملوا اسم الوراقين اختصوا بها وبالكتابة والكتب (المقريزي ، ١٩٨٩، ١٩٥-١٩٧).

المبحث الثاني

جهود الخلفاء العباسيين في رعاية وتطوير الحركة العلمية (١٣٢هـ/٢٣٢هـ)

كان ازدهار الحركة العلمية وتطورها من السمات البارزة التي اتصفت بها الدولة العربية الإسلامية ، فقد كان خلفاء الدولة العباسية مولعين بالجنون والآداب والعلوم المختلفة، فكان العلماء موضع اهتمامهم وحمايتهم متمتعين بمزايا كثيرة (مؤلف مجهول من القرن الثالث،١٩٥١، ٢٥-٢٦) ، من هنا كان ازدهار وتطور الحركة العلمية ، وهذا الازدهار جاء نتيجة شغف العباسيين بالعلم ورعايتهم للحركة العلمية، وقد ساعدهم على ذلك العديد من الجهود التي قاموا بها في مقدمتها :

١. إقدام الخلفاء وأولادهم على التزود بالعلم والتعلم :

كانت الصفة البارزة التي اتسم بها الخلفاء العباسيون حبهم للعلم ورعايته، ولم يقتصر ذلك على ميدان محدد، بل امتد لمعارف كثيرة متنوعة، وكانوا من المدافعين عن العلم ورجالاته ، وصف أبو

العباس (١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م) " من قبل الماوردي بأنه ظاهر الزهد كبير الفضل والعلم لما كان قد شهده عصره من غلبة لأهل العلم(ابن أعثم الكوفي،١٩٧٥، د.ص) (الماوردي ١٩٨٦،١٣٦) إذا كان فصيحاً بلغياً يصعد المنابر ويلقى الخطب التي تحتوي على الكثير من المعاني والدلالات القيمة ، ومثل ذلك خطبته أثناء توليه الخلافة إذ قال : "الحمد الله حمده وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ..... إلى أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة" ، كذلك العلم والتعلم كان واضحاً في شخص أبي جعفر المنصور ٩٥هـ – ١٥٨ هـ / ٧١٣م – ٧٩٥م م) الذي كان رائدا بالعلم (الجاحظ، د.ت، ٣٦٧هـ) أما الرشيد (١٧٠ – ١٩٣ هـ / ٧٨٦ – ٨٠٨ م) ، كان متميزاً ومتفوقاً ذا صيت وشهرة كبيرتين في العلم ، لدرجة أنه أطلق عليه (إمام علم) بسبب ما تمتع به من مؤهلات علمية مميزة ، إذ كان لا يوفر جهداً من أجل اللقاء بأعلام العلماء ليس فقط في العراق ، بل كان يتوجه نحو بقية الأمصار الإسلامية ، فضلا عن تواضعه لهم ، والحصول على محبتهم ومن ذلك ما جرى مع "بن عياض"(الفضيل بن عياض، ١٠٧هـ، ١٨٧هـ) إذ إنه ما أن سمع بفضله وعبادته ، حتى قصده في الحجاز" (ابن قتيبة الدينوري، د.ت(ابن قتيبة الدينوري، د.ت، ١٥٦)، كذلك المأمون الذي أعطى جل اهتمامه لمختلف فنون العلم المختلفة ولا سيما علم الفلسفة التي قرب إليه علماءها، كما تميز بحبه وتشجيعه للعلوم الآخرى كالفقه (السبكي، د.ت، ٢١٧) واللغة العربية والطب والشعر .

كانت مهمة إسناد المناصب العليا في الدولة منذ تأسيسها (١٣٢هـ) ولا سيما منصب الخلافة وسواها من المراكز الحساسة تستدعي أن يكون شاغلها متمتعا بثقافة وعلم كبيرين، وذا ثقافة واسعة، وعلى اطلاع عميق في تلك العلوم ، وفي تلك الفترة كان أولاد الخلفاء العباسيين هم من يشغلون تلك المناصب بسعي من آبائهم، ومن ذلك المنطلق حرص الخلفاء تنشئة أولادهم وتربيتهم وتثقيفهم ، كان الخليفة المنصور من الخلفاء الذين حرصوا على تلقين أولادهم العلم(الجاحظ، د.ت ، ٣٥١-٣٥٢) في سن صغيرة لتكون لهم منزلة رفيعة ، وليكونوا رجالاً صالحين، فقد أعدهم ليكونوا خطباء أمام الناس ، معلماً إياهم البلاغة والفصاحة في القول للحد الذي آثاروا فيه إعجاب رجال البلاغة، إذ قال أحدهم : ""ما رأيت كاليوم أبين بياناً ، ولا أجود لساناً ، ولا أحسن طريقاً من صالح"(الجاحظ، د.ت ، ٣٥١-٣٥٢) .

٢. تشجيع الخلفاء لعملية التأليف والترجمة :

كانت عملية التأليف من ضمن النواحي التي أسهم الخلفاء العباسيون في تنشيطها وتوسيعها من خلال توفير كافة الطرق والسبل اللازمة للتأليف من ورق وسواه، كما عمدوا إلى تخصيص أماكن محددة لتلك الحركة في مختلف الفنون ونقلها الناس عبر الورق (الجميلي، ١٩٨٦، ٥٩) فشكل ذلك

أداة مهمة في عملية التأليف(علي، ١٩٨٦،٤)، مثلت صناعة الورق ووصولها إلى متناول العرب المسلمين حالة من التطور الحضاري الذي أسهم بشكل واضح في النهضة الفكرية والعلمية في أرجاء الدولة العربية الإسلامية(العلي، ١٩٧٩، ٥) ، ومن الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر ، أوعز المنصور للعلماء بالتأليف في حقول العلم وأقدم عليه مع الإمام (مالك بن أنس)(الصفدي، ١٩٩٩، ٣٩) إذ طلب منه أن يؤلف له كتاباً في الفقه ، فألف (كتاب الموطأ) بناء على رغبته ، وحين تم إنجاز الكتاب أمر الخليفة بانتساخه (ابن قتيبة، د.ت، ١٥١) .

أما بخصوص الترجمة فقد شكلت شرياناً حيوياً ، وأداة للتواصل للاطلاع على ثقافات الأمم الأخرى التي أسهمت في تطور العلم ، أيضاً هي الأخرى كانت وسيلة مهمة لنشر المعرفة ، ودعامة من دعائم التنمية(ميلة، د.ت، ٢٩٢-٣٠٥)، وخطوة أولى للوقوف على أفكار الآخرين واستيعابها ، بتصحيح الخطأ أو بجمع المشتت أو بإكمال الناقص وضبطه(دبيش، ٢٠١٠، ٣٨)، كذلك الرشيد والمأمون اللذان كان عهدهما جديراً بأن وصف بالعهد الذهبي ؛ لما بذلاه من جهود جبارة لاحتضان العلوم والمعارف ، وترجمة الكتب الطبية والفلسفية والمنطق والرياضيات، وبالتالي فإن ما قام به خلفاء الدولة العباسية من جهود لتشجيع حركة الترجمة ، أسهم في إنقاذ ثقافات الأمم الأخرى من الفناء وأخرجوها من عالم النسيان ، وبعثوا فيها حياة جديدة ذات طابع خاص، إذ إن ترجمتهم لم تكن جامدة أو بعيدة من المجمع الإسلامي ، بل ترجموها إلى لغة حية هي لغة القرآن الكريم ، لذلك تعد الترجمة أحد الأعمدة التي قامت عليها الثقافة العربية (الجميلي، ١٩٨٦، ٤٦٨).

٣. إنشاء الخلفاء العباسيين مراكز للتعليم :

كانت فكرة رفع المستوى الثقافي للمسلمين حاضرة في ذهن الخلفاء العباسيين، فعملوا جاهدين إلى إيجاد الطرق المناسبة التي تساعدهم في تحقيق أهدافها في هذه الناحية، فما كان منهم إلا أن عمدوا إلى إنشاء المراكز التعليمية المختلفة التي كان من أشهرها على الإطلاق الكتاتيب التي تعد أراضي أقدم أماكن العلم في التاريخ الإسلامي (الفراجي، ٢٠٠٠، ٦٩) ، لقد خصص للعديد من العلوم ومن أشهر ماتلقاه فيها الصبيان ما جاء على لسان ابن خلدون، فبين أن أصلها القرآن " (ابن خلدون، د.ت، ٥٣٧هـ) ، زادت لاحقا في عهد الخلفاء العباسيين لتشمل العربية والنحو والعروض (ابن رستة، ١٨٩١، ٢١٩).

- **المساجد :**

لعبت المساجد دوراً مهما في حياة المسلمين ، بعدِّها إحدى الملامح الأساسية للمدينة الإسلامية في مختلف الفترات(سارة، ١٩٨٢، ١٣٤-١٣٥) [1]، ولم تكن مهمتها مقتصرة على كونها أماكن للعبادة فحسب ، بل كانت تؤدي دوراً سياسيا وفكريا إذ بويع فيه الخلفاء والأمراء ، كما بحث فيه أمر

الحرب والسلم (الطريحي ، ١٩٨٧، ١-٣)، فضلاً عن كونه مركزاً مهماً للتعليم ، وبقي المسجد حتى أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي في المركز الذي تلقى فيه الطلبة العلوم والمعارف ، فضلاً عن كونه يمثل ملتقى العلماء والأدباء(الطريحي ، ١٩٨٧، ١-٣)؛ لذا اهتم الخلفاء العباسيون بالمساجد، وأقبلوا على تشييدها في مختلف البقاع .

- **المكتبات:**

كان الإنتاج الفكري والعلمي للمسلمين وذخرهم الثقافي بحاجة إلى مكان لحظفه فظهرت المكتبات، فقد كان لها دور كبير في الانفتاح على مختلف العلوم(اليوزيكي، ١٩٩٥، ٣٤٧) ، من هنا وانطلاقاً من الجهود والرعاية التي قدمها الخلفاء العباسيين للعلم والعلماء ، وشجعوا التأليف ، قاموا بالعمل على تشييد المكتبات ، ومن أشهر تلك المكتبات بيت الحكمة(حاجي خليفة، ١٩٤١، ٦٨١) ، التي حفلت بمختلف فنون العلم والمعرفة ، فقد أدى دوراً مهماً في نضج الحركة العلمية التي شهدها القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، نتيجة احتوائه المصنفات الجديدة والمترجمة من مصادر عديدة(القفطي، د.ت، ٣٨٣) .

- **البيمارستانات :**

كانت لها مكانتها البارزة في التاريخ الإسلامي، لما لعبته من دور بارز سواء علميا أو في الجوانب الخيرية والعلاجية ، جمعت تلك البيمارستانات بين وظيفتين علمية وطبية، فلم تكن معالجة المرضى العمل الوحيد الذي يتم فيها، بلك كانا مركز علني يفد إليه الطلاب ليحصلوا فيها على معلومات طبية قيمة، فكان للبيمارستانات دور عالي الأهمية في التقدم الطبي لدى العرب المسلمين(عبد الباقي، ١٩٩١، ٥٣٠) لم تكن هذه البيمارستانات حديثة الوجود، أي أنها لم تكن قد ظهرت في العصر العباسي فقط، بل يرجع وجودها إلى عهد الأمويين، ولكنها تطورت بشكل أكبر في العصر العباسي نتيجة الاهتمام الواسع والأكبر من قبل الخلفاء في تلك الفترة وعملهم على تشييدها(عيسى بك، ١٩٨١، ٤) ومن البيمارساتانات المشهورة في تلك الفترة بيمارستان جنديسابور(ماجد، ١٩٧٤، ٤) الذي برز في عهد المنصور ، إذ ضم أفضل الكفاءات والخبرات العلمية من الأطباء ، فقد استقدم الطبيب (جورجيس بن بخيتشوع) الذي كان خبير بصناعة الطب والمداواة، وأنواع العلاج ، وله مصنفات جليلة (القفطي، د.ت، ١٠٩).

٤_ تخصيص منح مالية من الخلفاء العباسيين للطلاب .

تعددت طرق ووسائل الخلفاء العباسيين في تشجيع الحركة العلمية وطلاب العلم، وكان من تلك الأساليب قيام الخلفاء العباسيين بتوفير مبالغ مالية لمن يستطيع تعلم فن من فنون العلم والمعرفة(ابن الفقيه، ١٩٩٦، ٨) مما أسهم في تشجيع الكثير من الناس على العلم والولوج في

ميادنيه المتعددة ، خاصة من وجد في نفسه الشروط التي تؤهله لذلك ؛ ذلك أننا نجد الخليفة الهادى قد توجه نحو الشعر ؛ لأن شغفه دفعه إلى رصد الأحوال لمن يقدم على تعلم الشعر ، وقد أفادنا (أسامة بن معقل) إذ قال : ""كان موسى الهادي مغرماً بالشعر ، يستخلص أهله ، فما تركت بيتاً نادراً، ولا شعراً فاخراً و لا نسيباً سائراً إلا حفظته فأعانني على ذلك طلب الهمة في علو الحال ، ولم أر شيئاً إلى تعلم الآداب من رغبة الملوك في أهلها وصلاتهم عليها""(ابن الفقيه، د.ت، ٢). فهذا النص يوضح لنا الدليل على سبب إقدام الكثيرين على التعلم لحب الخلفاء للعلم وأهله وصلاتهم الجزيلة عليهم .

المبحث الثالث

جهود الخلفاء العباسين في عقد المجالس، وإكرام العلماء

أولاً : عقد المجالس :

كان الاجتماع بالعلماء البارزين حاضرا في تفكير بني العباس، وأخذوا يبحثون عن السبل للتقرب من أولئك العلماء ودعمهم ومحاباتهم والاستفادة منهم، فوجدوا ضالتهم وسبيلهم في ذلك من خلال عقد المجالس العلمية التي لم تكن مقتصرة على علم معين، بل كان منها ما اختص بالفقه والشعر والطب وسواها، وكان مركز تلك المجالس قصورهم التي تحولت إلى منتديات علمية ثمينة تبادلوا في أروقتها أثمن العلوم وأغلاها (عسيري ، ١٩٨٧، ١٦٧) ، شهدت تلك المجالس أيضا عقد المناظرات العلمية بين العلماء ، وتمتع في ظلها العلماء بحرية المناقشة وإبداء آرائهم ووجهات نظرهم من دون خوف، لاسيما أن الخلفاء حرصوا على الحفاظ على الطابع العلمي لتلك المجالس ، فاحترموا قدسيتها وحرمتها ، وقد جاء في وصف الحكماء مجالس العلماء، إذ قالوا : ""الدينا كلها ظلمة إلا مجالس العلماء""(ابن عبد البر، د.ت ٥٣، ٥٤) ، ولم يقتصر دور وجهود الخلفاء في تلك المجالس على الاستماع وتلقي المعرفة ، بل أثبتوا حضوراً علمياً فاعلاً، فناظروا العلماء وأدلوا بآرائهم ، فمثلاً على سبيل المثال لا الحصر الخليفة المنصور كان في طليعة الذين جالسوا الأطباء ، فقد استقدم إليه أمهر الأطباء في زمانه، وصادف أن أصيب الخليفة بمرض في معدته ، فأرسل رسولاً لإحضار طبيب ماهر وهو (جورجيس بن بخيتشوع) ، فأراد الخليفة التأكد من براعته في الطب وبالفعل ظهرت خبرته في تلك الناحية فأغدق عليه العطايا (ابن العبري ، ١٩٨٣، ٢٤١) ، وقد حظي العلماء في تلك المجالس بمكافآت وجوائز الخلفاء التي إنهالت عليهم ، لا سيما الشخصيات التي استطاعت التفوق والتألف العلمي في تلك المجالس .

ولم يكتف الخلفاء العباسيون بالمجالس العلمية التي عقدت في قصورهم فحسب ، بل دفعهم تعطشهم الدائم للعلم ولقاء أهله إلى وجودهم في المثير من مجالس العلم، وأحياناً كانوا يزورون العلماء في منازلهم بغية الاستفادة من نصحهم أو رأيهم في بعض المسائل .

كل هذه العوامل قد أسهمت في ازدهار العلوم ، وبالتالي نلاحظ أن دار الخلافة كانت مركز إشعاع علمي في الدولة ، وليست مجرد مقر للحكم والسياسة ، وذلك عائد إلى تربية الخلفاء وثقافتهم وجهودهم التي جمعت الكثير من فروع العلوم والفنون المختلفة (الأزهري ، د.ت، ١١١٩٠) .

ثانياً : إكرام العلماء :

١. الأموال والهبات :

تحدثت المصادر التاريخية عن صفة الكرم وإكرام العلماء ، ومن ذلك قول العلامة ابن خلدون في ذلك قائلاً : ""واعلم أن من خلال الكمال التي يتنافس فيها القبائل أو العصبية ، وتكون شاهدة لهم بالملك ، إكرام العلماء والصالحين والأشراف .... وانزال الناس منازلهم"" (ابن خلدون ، د.ت، ١٤٤) ، واتصف خلفاء الدولة العربية الإسلامية ومنهم الخلفاء العباسي بهذه الخصلة الحميدة ، فقد كانوا كرماء مع رعيتهم على اختلاف مشاربهم ومركزهم في المجتمع ، إلا أنهم أولوا العلماء مكانة ورعاية خاصة ، فقد بالغوا في إكرامهم والإغداق عليهم متمسكين بما أمرهم به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما قال : "" إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير الغالي فيه ، ولا الجافي منه ، وإكرام ذي السلطان المقسط""(المنذري، ١٩٨٥، ١١٤) ، ومن الأمثلة والدلائل التي تدل على إكرام الخلفاء العباسيين للعلماء هي منحهم الأموال والهبات؛ وهذا بدوره أسهم في تطور الحركة العلمية .

فمثلاً : أبو العباس السفاح (١٠٤هـ ١٣٦هـ) كان جواداً سخياً ، وكرمه وسخاؤه دفعاه إلى الإغداق على العلماء في مختلف الأحوال، ولم يتهاون في تعجيل العطاء ، ودليل ذلك موقفه إزاء تأخير حاجبه دفع هدية الخليفة لأحد شعراء عصره عندما أمر له بألف دينار؛ مما آثار غضبه فقال لحاجبه مؤنباً إياه : ""ألم آمرك أن تعطي ... ألف دينار ، قال : بلى يا أمير المؤمنين ولي في ذلك عذر ، قال : لا عذر لك الآن أعطه ألف دينار وخيار ثيابي""(ابن أعثم الكوفي، د.ت، ٢٠٠) ، فمن خلال ما سبق نلاحظ أن السفاح كان حريصاً على إرضاء شاعره وبإكرامه .

أما الخليفة أبو جعفر المنصور ، فإن كرمه وإحسانه العلماء لم يضيع ، فقد حفظ للعلماء قدرهم ، ومنحهم ما يستحقونه من المنح والعطاء ومن بينهم الفقيه (مالك بن أنس) ، فإن الخليفة عندما لقيه في إحدى زياراته للحجاز ""أمر له بألف دينار عيناً ذهب ، وكسوة عظيمة وأمر لابنه بألف دينار""(ابن قتيبة الدينوري، د.ت، ١٣٢هـ) ، ومما تجب الإشارة إليه أن تنوع الدعم المادي

المقدم من قبل الخلفاء العباسيين للعلماء ، لم يقتصر على النقود بحد ذاتها ، بل شمل إعطاؤهم الهبات المختلفة كأن تكون ثيابا لكسوة العلماء ، أو دوابًّا لحملهم ، ومن هذه العطايا عطية الخليفة المهدي للعالم (هشام الكلبي) (الخطيب البغدادي ، د.ت، ٤٥) عندما بعث إليه الخليفة لإكرامه ، إذا قال هشام في ذلك: ""ثم دعا بمنديل فيه عشرة أثواب من جياد الثياب ، وعشرة آلاف درهم و ... بغلة بسرجها ولجامها فأعطاني ذلك"" .

كذلك الخلفية الرشيد كان إغداقه كبيراً لأهل العلم والمعرفة ، إذ كان حريصاً ومتيقظاً لرد فضلهم وإثبات احترامه وحبه لهم في كل مناسبة ، ومن ذلك عندما كتب (الكساني) (الخطيب البغدادي ، د.ت، ٤٠٣)

إلى الخليفة يطلب المال لحاجته إليه في ذلك ، فأسرع الخليفة إلى تلبية طلبه ""فأمر له بعشرة آلاف درهم وجارية ... وخادم معها وبرذون بسرجه""(الخطيب البغدادي ، د.ت، ٤١٢) ، وهكذا نستطيع القول إن منح الخلفاء العباسيين للعلماء بمثابة نوع من أنواع التشجيح التي عمدوا إليها ، لتكون حافزاً لبقية العلماء لاعتلاء جبال العلم وصولاً إلى قمتها؛ وهذا بدوره أدى بطبيعة الحال إلى تطوير الحركة العلمية ، ومثلما أكرم الخلفاء علماءهم من المسلمين ، فإنهم أيضاً لم ينسوا إكرام العلماء من الملل الأخرى لطالما أن سياسة الدولة العباسية كانت قائمة على التمازج الثقافي ، ومن هؤلاء العلماء (جبرائيل بن بخيتشوع) (ابن جلجل ، ١٩٥٥، ٦٤) الذي كان طبيب الرشيد فأنعم في رعايته ، ذلك أنه كان له ""برسم العامة في كل شهر من الورق عشرة آلاف درهم ، وبرسم الخاصة في المحرم من كل سنة من الورق خمسون ألف درهم"" (القفطي ، د.ت، ٩٩-١٠٠) .

٢. تقليد المناصب والوظائف :

ويمكننا القول إن من مظاهر جهود أفراد البيت العباسي في ازدهار العلم ، إقدامهم على إسناد المناصب والوظائف الجديدة للعلماء بناءً على المستوى العلمي والثقافي الذي بلغه علماء ذلك العصر ، وأول من بادر إلى ذلك أبو العباس السفاح ، الذي هم بتولية الفقيه (الحجاج بن أرطأه) قضاء البصرة(ابن خياط، ١٩٦٧،٤٤) والسبب الذي دفع السفاح لمنح الفقهاء منصب القضاء ، لإلمامهم بأن الفقيه هو أدرى من غيره بالأحكام الشرعية ، باعتبار أن القضاء يمثل مهمة دينية أكثر من كونه مهمة دنيوية .

كذلك فقد آثر الخليفة الهادي العلماء في من سواهم ، فقد أسند إليهم المناصب الإدارية الحساسة في الدولة والتي كانت على تماس مباشر بالخلافة ، إمعاناً في الرعاية ، وتعبيراً عن الثقة بهم(المسعودي،١٩٦٥ ،٣٤٤) ، كذلك عظم شأن العلم والعلماء في عهد الخليفة المأمون الذي

شهد قمة التطور الحضاري ، فقد كان هذا الخليفة بعيد النظر في تفكيره ، عندما ما قرر أن يجعل وليا للعهد من بعده ، لرجل عالم يراعي الله في عباده ليكون جديراً بولاية العهد والخلافة ، فاختار الإمام ((علي الرضا)) ليكون ولي عهده إذ ""لم يجد أحداً هو أفضل ولا أروع ولا أعلم منه""(ابن العبري، د.ت، ٢٣٣) .

الخاتمة والنتائج

توصلت الدراسة للنتائج الآتية :

١. إن الحركة العلمية في الدولة العربية الإسلامية (أي العصر العباسي الأول) تطورت وازدهرت ازدهاراً كبيراً خاصة بغداد عاصمة الخلافة العباسية التي كانت تمثل مركز الإشعاع الفكري والحضاري للدولة العربية الإسلامية .

٢. اهتمام الخلفاء بالعلم واحتضانهم للعلماء والوزراء والأدباء وتشجيعهم مادياً ومعنوياً؛ مما انعكس ذلك على تقدم الحركة العالمية وانتشار العلوم .

٣. شغف الخلفاء العباسيين بالعلم دفعهم إلى تعليم أولادهم حتى يكونوا مؤهلين لتولي المهام العليا ومنها سدة الخلافة ، كما حرصوا على تعريفهم أهمية العلم ومكانة حملته ليحافظوا على ما ورثوه من علوم أجدادهم لتوظيفها في سبيل وتطوير نهضة أمتهم الثقافية .

٤. شهدت حركت التأليف والترجمة أوج ازدهارهما ونشاطهما ، إذ تم تأليف وترجمة كماً هائلاً من العلوم والمعارف في الميادين المختلفة .

٥. كشف البحث أيضاً اهتمام الخلفاء بإنشاء المؤسسات التعليمية التي كانت عاملاً مهماً في تطوير الحركة العلمية ، خاصة بيت الحكمة الذي ذاع صيته في العالم العربي لعنايته الفائقة بالكتب المترجمة الحاملة بين طياتها كنوز الثقافات العربية والأجنبية .

٦. وقف البحث عند المجالس العلمية والمناظرات ودورها في تطوير الحركة العلمية ، إذ أدت دوراً بارزاً وكبيراً في نشر مختلف أنواع العلوم وانتعاشها في بغداد وغيرها من الأمصار الأخرى التي كانت بدايتها من المساجد ثم انطلقت وامتدت إلى قصور الخلفاء والأمراء ودور العلماء .

المصادر والمراجع

المصادر :

١- ابن أعثم الكوفي ، أبو محمد أحمد بن أعثم ، كتاب الفتوح ، تحقيق محمد عظيم الدين ، دار الندوة ، بيروت ، ١٩٧٥ .

٢- ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون الملطي) ، تاريخ مختصر الدول ، دار الرائد اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٣ .

٣- ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحاق الهمذاني) ، مختصر كتاب البلدان ، تحقيق يوسف الهادي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٦ .

٤- ابن جلجل (أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد السيد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار ، القاهرة ، <

٥- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ، مقدمة ابن خلدون ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨١.

٦- ابن خياط ، تاريخ هليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٩٦٧ .

٧- ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر، الأعلاق النفسية، ليدن ، بريل ، ١٨٩١ .

٨- ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي) ، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، د . ت .

٩- ابن قتيبة الدينوري ، عبد الله بن مسلم ، الإمامة والسياسة ، تحقيق طه الزيني ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ت .

١٠- ابن قيبة الدينوري ، عبد الله بن مسلم ، المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

١١- ابن ماجه ، محمد بن يزيد ، سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب ، القاهرة .

١٢- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين) ، الأغاني، تحقيق عبد الكريم الغرباوي ومحمود غنيم ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ت .

١٣- البخاري (محمد بن اسماعيل) ، صحيح البخاري ، مطبوعات علي صبيح ، مصر د ت.

١٤- حاجي خليفة (مصطفى عبد الله) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تصحيح محمد شرف الدين ، مكتبة المثنى، بغداد ، ١٩٤١ .

١٥- الحافظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

١٦- الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي) ، تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، د. ت .

١٧- الزمخشري (محمود بن عمر) ، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تحقيق سليم النعيمي ، بغداد ، ١٩٨٢ .

١٨- السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب) ، طبقات الشافعية الكبرى ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ت .

١٩- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) ، الوافي بالوفيات ، اعتناء محمد الحجيري ، مطبعة الشركة المتحدة ، بيروت ، .١٩٩٩ .

٢٠- القفطي (أبو الحسن جمال الدين) ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، دار الآثار ، بيروت ، د . ت .

٢١- القفطي (جمال الدين بن يوسف) ، تاريخ الحكماء ، مكتبة المثنى ، بغداد د . ت .

٢٢- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد) ، نصيحة الملوك ، تحقيق محمد جاسم الحديثي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٦ .

٢٣- المسعودي (علي بن الحسين) ، التنبيه والإشراف ، مكتبة خياط ، بيروت ، ١٩٦٥.

٢٤- مسلم (أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج) ، صحيح مسلم ، بيروت، دار الكتب العلمية ، د . ت .

٢٥- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي) ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٩ .

٢٦- المنذري (أبو محمد زكي الدين عبد العظيم) ، الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، ضبط أحاديثه وعلق عليه مصطفى عمارة ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر ، ١٩٨٥ .

٢٧- مؤلف مجهول من القرن الثالث ، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده ، تحقيق عبد العزيز الدوري ، وعبد الجبار المطلبي ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٥١

٢٨- الواقدي (محمد بن عمر) تاريخ فتوح الجزيرة والخابور وديار بكر والعراق ، تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش ، دار البشائر ، دمشق ، ١٩٩٦ .

المراجع :

١. الأزهري ، طائف ، الحركة العلمية والأدبية في دار الخليفة العباسي (١٣٢ – ٣٢٢ هـ/ ٧٤٩ – ٨٤٧ م) ، كلية الآداب ، جامعة حلوان .

٢. آل جعفر ، مساعد مسلم عبد الله ، أثر التطور الفكري في التغيير في العصر العباسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤ .

٣. الجميلي ، رشيد ، حركة الترجمة في المشرق الاسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٦ .

٤. دبيش ، لطفي ، التواصل الحضاري في الثقافة العربية الإسلامية من خلال مدونة الجغرافيين والرحالين العرب والمسلمين ، مركز النشر الجامعي ، ٢٠١٠ .

٥. سارة ، منية ، التكوين الوظيفي للمدينة الإسلامية ، مجلة الفكر العربي ، العدد ٢٢ ، أكتوبر ، نوفمبر ، ١٩٨٢ .

٦. الشكعة ، مصطفى ، سيف الدولة الحمداني ، الدار المصرية ، بيروت ، ١٩٧٧ .

٧. الطريحي ، محمد سعيد ، خزائن الكتب الإسلامية القديمة في الكوفة ، مجلة المورد ، تصدرها وزارة الثقافة والإعلام ، العدد ٤ ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٧ .

٨. عباس، رندة ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية (العصر العباسي الأول) ، منشورات جامعة تشرين ، ٢٠١٧ .

٩. عبد الباقي ، أحمد ، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩١ .

١٠. عسيري ، مريزين سعيد ، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ١٩٧٨ .

١١. العلي ، صالح أحمد، الحركة الفكرية واتجاهاتها في صدر الإسلام ، مجلة أوراق ، تصدر عن المعهد الاسباني العربي للثقافة ، العدد ٢ ، ١٩٧٩ .

١٢. علي ، عصام الدين ، بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة منذ أواخر القرن الأول حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٦ .

١٣. عيسى بك ، أحمد ، تاريخ البيمارستان في الإسلام ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٩٨١ .

١٤. الفراجي ، عدنان ، المؤسسات والمراكز العلمية في الدولة العربية الإسلامية ، مجلة صدى التاريخ ، العدد ٦ ، ٢٠٠٠ <

١٥. الفيصل ، نادية محسن عزيز ، مدينة الرقة ودورها الحضاري في العصر العباسي (١٣٢ – ٣٨٠ هـ) ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠١٠ .

١٦. كار ، مريم سلامة ، الترجمة في العصر العباسي ، مدرسة حنين بن اسحاق وأهميتها في الترجمة ، ترجمة نجيب غزاوي ، منشورات الثقافة ، دمشق ، ١٩٨٨ .

١٧. ماجد ، عبد المنعم ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

١٨. ميلة ، طاهر ، انعكاسات حركة الترجمة على وضع اللغة العربية ، مجلة اللغة العربية ، العدد ١٤ .

١٩. اليوزيكي ، توفيق سلطان وآخرون ، دراسات في الحضارة العربية الإسلامية ، دار الكتب ، الموصل ، ١٩٩٥ .